سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

خطبة جمعة

يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٣)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي قال في محكم كتابه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[يوسف].

الحمد لله الذي أَرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق، ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ بالله شهيدا.

الحمد لله الذي أتمّ علينا النعمة ببعثة محمد ﷺ، وأتمّ علينا النعمة بأنْ جعلنا من أتباع محمد ﷺ.

ونسأله اللّٰهمَّ أنْ يتم علينا النعمة بالوفاة علىٰ شهادة أنْ لا إلٰه إلا الله وأنّ محمدا رسول الله.

وأشهد أن لا إلٰه إلا وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلّغ الرسالة وأدّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، فصلوات الله وسلامه علىٰ نبيه محمد وعلىٰ آل نبيِّه محمد وعلىٰ من تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله حق التقوىٰ.

عباد الله؛ إنّ الله جلّ جلاله ضرب الأمثال في القرآن، وجعل في القرآن من كلّ شيء مثلا، ضرب المثَل لعبوديته الحقّة وعبودية الآلهة الباطلة، وضرب مثلا لرسله، وضرب مثلا للحق والباطل، وضرب مثلا لِما جعل الله -جل وعلا- عليه الأمم السابقة، ضرب الأمثال لتكون عِظَة وعبرة.

ولكن الأمثال إنما يعقلها من تذّكر وعَلِم ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[العنكبوت]، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الحشر]، فالله جل جلاله نوَّع الأمثال لنتفكر ولنتَّعِظ ولنعتبر.

ومن أعظم الأمثال التي ضربها الله -جل وعلا- في هٰذا القرآن جعلها مثلا لنتدبرها ولنعي ما فيها أمثال قصص الأنبياء والمرسلين ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف:١١١].

وإنّ من تلكم القَصص وتلكم الأمثال قصة تلك القرية التي بعث الله -جل وعلا- إليها رسلا، قال

سبحانه: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾[يس]، لقد جاء الله -جل وعلا- تلك القرية برسل هم أكرم الخلق عليه، برسل هم كريمون عليه، مقدَّمون عنده -جل وعلا- بما حباهم به، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾[القصص:٦٨].

لقد أرسل الله رسولين إلىٰ تلك القرية لتعظُم الحجة عليهم وليكونوا علىٰ بيّنة من عِظَم هٰذا الأمر الذي جاءت به الرسل، أرسل الله لهم اثنين، فكذّب هذين الاثنين أهلُ القرية أشدّ تكذيب، فعزّز الله -جل وعلا- أولئك برسول ثالث، فقال الرسل جميعا: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أكّدوا تلك الرسالة وأنهم ليسوا بكاذبين، وأنهم أهل صدق، وإنما وظيفتهم أن يُبلِّغوا رسالات الله، وأنهم إن لم يُؤخذ بما قالوا فإنما يخشون الله، الذين يخشون الله حقّ خشيته أولئك هم الرّسل الذين بعثهم الله -جل وعلا-، بعثهم الله لإنقاذ الناس.

أرسل الله -جل وعلا- هؤلاء الثلاثة، فقالوا لأصحاب القرية ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فماذا كان جواب أهل القرية؟ ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ لقد منعهم من التصديق أن أولئك الرّسل كانوا بشرا، أرادوا أن يكونوا ملائكة، ولو كانوا ملائكة فكيف سيفهمون عنهم؟ وكيف يعقلون كلامهم؟ ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾﴾[الأنعام].

إنّ أولئك رفضوا الحق بشبهة في ظاهرها قد يكون يَعتذر بعضهم إلىٰ بعض بها، ولكنها في الحقيقة ليست بشيء.

وهكذا دائما أصحاب الشبهات، يُوقع الشيطان في قلوبهم الشُّبه فيُقنعهم أنها شبهة حق، وأنهم لو أتاهم الحق واضحا لقَبِلوا ذلك، مع أنّ البيّنات كانت كافية وكانت باقية وكانت واضحة جليّة، فإن أولئك المرسلين جاءوا من عند الله بالآيات والبراهين الدّالة علىٰ صدقهم، المؤيدة لدعواهم الرّسالة، وكفىٰ بذلك حجة لمن سَلِم قلبُه، لكنهم أرادوا أن يكون الرسل من الملائكة، وتلك شبهة ألقاها الشيطان في قلوبهم، إنّ الناس يحتاجون إلىٰ رُسل من البشر يعلمونهم بلسانهم؛ ويقتدي الناس بهم حتىٰ يكون الدين مُتَمَثِّلًا أمامهم في بَشَره، يمشون به ويروحون به ويجيئون.

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ ﴾ كذّبوا بإنزال الله -جل وعلا- الكتب عليهم؛ قالوا: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ حصروا أولئك في الكذب، وكأنّ الكذب لم يتعداهم، وكأنهم هم في الكذب متمثلا فيهم لا يَعْدُونه؛ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

فكان جواب الرسل، جواب أهل الحق الثابت، الذين يدلون بالحق، ويعلونه بكلمة واضحة، قال الرسل: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ وكفىٰ بشهادة الله شهادة، فهل يكون الرسول الذي أَرسله الله وأيده بالمعجزات يكون كاذبا؟ إنّ الرسول الذي يدّعي الرسالة لا يلبث أن يُعاقب.

إنّ من ادعىٰ رسالات الله في التاريخ لا بد أن تَحِيق به العقوبة سريعا، وأما أن يقول: إني مرسل من عند الله ومؤيد من عند الله بالحجج والآيات والبراهين، ثم إنّ الله يؤيده علىٰ خصمه وينصره، ويقوي حجته، فإن ذلك دليل علىٰ صدق رسالته، وإن ذلك دليل علىٰ أن الله جل جلاله بعثه مُرسلا إلىٰ الناس ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾.

إنّ الرّجل تكون عنده الحجة فيُلقي بها في الناس طيبا لفظها، طيبا معناها، فتسري في الناس في من أراد اللهُ به خيرا.

وأما من صدّ عن الحق، ولم يقبل الحق الذي جاءت به الرسل، ووجد حرجا في نفسه من كلام الرسل، ومن كلام من اصطفاهم الله -جل جلاله-، إنّ أولئك البلاء في أنفسهم، وليس البلاء في الحق، البلاء في شهواتهم وشبهاتهم، وليس البلاء في ما أنزل الله، وفيما بلغته الرسل من عند الله.

ورسل الله صادقون مصدوقون لا ينطقون عن الهوىٰ، قالت الرسل: ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ فماذا كان جواب أولئك الذين كذّبوا الرسل؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾[يس:١٨]؛ تطيّروا بهم؛ قالوا: إن سبب ما جاءنا من الشر وسبب ما جاءنا من البلاء إنما هو من جهتكم، إنما هو من أسبابكم، أمّا نحن فإننا مستحقون لكلِّ فضْل من الله ولكلِّ رحمة من الله، ولكن سبب بلائنا أنتم أيها الرسل؛ لأنّكم خالفتم ما عهدنا عليه الآباء، وما عهدنا عليه من سبقنا في عباداتهم للآلهة المختلفة وفي اتباعهم لكبرائهم؛ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[يس]؛ يعني إنْ لم تتركوا ذلك فلنرجمنّكم ولنقتلنّكم وأيضا ليمسنّكم -أقسموا علىٰ ذلك- منا عذاب أليم.

فكان جواب الرسل جواب المطمئن إلىٰ الله الذي أَنِسَ بما عند الله، المصدّق بوعد الله، قالت

الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾[يس:١٩] يعني سبب شقائكم، وسبب التطير، وسبب ما سيحيط بكم من البلاء، إنما هو معكم مُلازمكم، وهو ما طَارَ عنكم من عمل الشر، وما طار عنكم من سوء، وما طار عنكم من تكذيب الرسل وعدم الإيمان بكتب الله وبما أنزل الله علىٰ رسوله.

قالت الرسل: ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُم بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾[يس] يعني: أتقتلوننا لأجل التذكير بالله وبسنة الله وبالصدع بما أنزل الله في كتابه؟ أتقتلوننا لذلك؟ ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ فسبب ذلك الإسراف إسرافكم في الأمر، وإسرافكم في أنفسكم، ومجاوزتُكم للحد الذي أذِن الله به.

وهكذا كل من خالف الرسل مِن الذين اتبعوا شهواتهم واتبعوا شبهاتهم، إنّ أولئك دائما حجتهم من جنس تلك الحجة، يظنّون أن البلاء من جهة المذكِّرين، وأنَّ سبب ما يصيب الناس، إنما من هو جهة الذين ذَكَّرُوهم بما أنزل الله في كتابه، **وهذه حجة قديمة جديدة**﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾ [الذاريات].

ثم بيّن الله -جل جلاله- وظيفة رجل من المؤمنين آمن بما جاءت به الرسل، فأتىٰ واعظا لقومه، مذّكرا لهم، قال سبحانه: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ [يس]، ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وهي تلك القرية ﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾، قال المفسرون في قوله: ﴿مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ ما يُشعر أنه ليس من أغنياء الناس؛ بل من فقرائهم، وليس من أهل الجاه؛ بل هم ممن يَرفض قولَه الأكثرون؛ لأنه جاء من أقصىٰ المدينة، وعادة الناس في الأزمنة الأُوَل أن الأشراف والكبراء يسكنون وسط المدن، وأنّ من هم دونهم يسكنون الأطراف والأقصىٰ من المدينة.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ لقد كان حريصا أن يتّبع أولئك الناسُ المرسلين، فيتّبعونهم فيما جاءوا به من الحق وينصرونهم ولا يخذلونهم؛ لأنّ في ذلك أسباب السعادة في الدنيا والأخرىٰ، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ ثم علّل ذلك بقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾[يس]، إنّ من أدلة صدقهم أنهم مهتدون علىٰ صراط الله، وأنّهم وحدوا الله -جل جلاله-، وأنّهم دعوا إلىٰ إفراد الله -جل وعلا- بالعبادة، دَعَوا إلىٰ ذلك وكانوا علىٰ بصيرة في ذلك الأمر، وهم لم يسألوا الناس أجرا ولم يتكلّفوا، قال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ

﴿أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ يعني اتبعوا من لا يطلب منكم مالا، والحال أنّه من المهتدين؛ لأنّ من الناس من يكون لا يسأل الناس أجرا في دعوته ولكنه علىٰ ضلالة علىٰ مخالفة للرسل.

والناس قد يظنون أنّ كلَّ زاهد أو أن كل من لم يسأل الناس أجرا أو أنّ كل مدافع عن حقوق الناس أنه يكون علىٰ هداية.

وهٰذه الآية فيها التنبيه علىٰ أنّه لا بد أن يكون مع الأوّل أنْ يكون علىٰ هداية، والهداية هي الهداية إلىٰ طريق الرّسل الذي بينه الله -جل وعلا- في كتابه، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾، فالقضية ليست أنهم لم يسألوا الناس أجرا فحسب، بل القضية الكبرىٰ أنّهم علىٰ هداية من الله؛ أنّ حالهم الهداية، أنهم اهتدوا بهداية الله، وأخذوا ما أنزل الله، ولم يفرِّقوا بين أمر الله، لم يفرِّقوا بين كلام الله، بل كانوا علىٰ وفق ما يحبُّ الله ويرضىٰ، ابتعدوا عن المشتبهات، وأخذوا بالحق، فكانوا علىٰ الهداية، وقَبِلوا ما أمرهم الله به، فكانت تلك الهداية للمرسلين.

وكذلك تكون تلك الهداية لكل من اتّبع الرسل، قال الله جل وعلا مخبرا عن قِيلِ ذلك الرجل الصالح: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾[يس] يقول: لماذا لا أعبد الله الذي فطرني؟ لماذا لا أعبد الواحد الأحد، وأعلق قلبي به، وأدلّ الناس عليه، وأجعلهم مطمئنين إلىٰ الله، عابدين له وحده دون ما سواه، خالعين للأنداد؟

وهٰذه هي دعوة الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم، أنّ دعوتهم ودعوة أتباعهم إلىٰ التوحيد الخالص، ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قال -جل وعلا- لنبيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف].

قال ذلك الرجل الصالح: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[يس].

إذن كانت دعوة الرسل ودعوة ذلك الرجل الصالح -فيما دعا به قومه- كانت في توحيد الله وردِّ الناس إلىٰ التعلّق بالله؛ لأنها مهمة المصلحين؛ لأنّها مهمّة الذين يريدون أن يعلقوا قلوب الناس بالله -جل جلاله-، فإذا صلحت القلوب وصلح الناس أنزل الله -جل وعلا- البركات علىٰ الأرض، وأذن بما

يأذن به من سننه الكونية.

قال جل وعلا مخبرا عن قوله: ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾ يعني إنْ كنت علىٰ تلك الحال من الشرك فإني علىٰ ضلال مبين.

نعم، كانت تلك أقوالَه، وكانت تلك دعوته، فما كان منهم إلا أن قتلوه، ما كان منهم إلا أن توجهوا إليه بالتهديد، لما قال لهم: ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ ﴾ توجّه إليهم بكلمة الحق، فقال: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾[يس:٢٥]:

- إما أن يكون توجه إلىٰ المرسلين.
- وإما أن يكون توجه إلىٰ الناس

﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ ﴾[يس] فلما قال ذلك بادروا إليه وقتلوه، فَتَلَقَّتْهُ الملائكة بقولهم: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[يس:٢٦]؛ لأنه دعا إلىٰ ما دعت إليه المرسلون؛ لأنه كان علىٰ حق واضح ثابت، دعا إلىٰ ما دعت إليه المرسلون، واتبع سيرتهم، وجاهد في ذلك، ولو كان في ذلك بذل نفسه، تلقته الملائكة أنْ لا تخف ولا تحزن وادخل الجنة، فنظر لمّا دخل الجنة ورأىٰ النعيم، تذكَّر قومَه، ورحم قومَه فقال: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾ [يس]، أدركته الرحمة، أدركته رحمة الخلق.

وهكذا الداعية الصالح الناجح؛ يأمر الناس بما أمر الله به، وهو رحيم بِهِم، يرحم العاصي أنْ عصىٰ، ويرحم الضال أن ضل، ويرحم الناس أن يكونوا ليسوا من أهل الجنة، وبِوُدِّه لو بذل نفسه ودخل الناس جميعا جنة الله جل جلاله.

قال الإمام أحمد: **"وددتُ لو أن جسدي قُرِّضَ بالمقاريض وأنَّ الخلق أطاعوا الله جل جلاله"** وددت لو أن جسدي قُرِّضَ بالمقاريض، وأنَّ الخلق أطاعوا الله جل جلاله؛ لأنه يحبّ المؤمنين، ويحبّ أهل الإسلام، ويحبّ أن يكون خلق الله جميعا من أهل الجنة، لكن ذلك لا يمكن أن يكون؛ لأن الله ذرأ لجهنم النصيب، وذرأ للجنة النصيب، وكل سيأتيه المصير.

أسأل الله -جل وعلا- أن يجعلنا من أهل الجنة.

لما دخل الجنة وقُتل ثم صار من قومه ما صار من تكذيب الرسل قال جل جلاله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ

مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يـس]، لـيس الأمر بعسير علىٰ رب العالمين، لا يحتاج إلىٰ جنود مجندة، إنما هي صيحة من السماء فأخذتهم صاعقة، أتتهم فأخذتهم، فكانوا أمواتا فإذا هم خامدون، يا حسرة علىٰ العباد.

يا أيها المؤمنون؛ إنّ في قصص القرآن لعبرة، وإنّ الدعوة الصالحة الناجحة لابد أن يكون فيها ومعها ولها التدبّر الأعظم، أن يكون لها التدبّر الأعظم في سُنن الله، وفي قصص القرآن، وفي دعوة الأنبياء والمرسلين؛ لأنّ من أخذ بدعوتهم، من أخذ بدعوة المصطفىٰ ﷺ من أخذ بسنته فإنه علىٰ نجاح في دعوته، ولو لبثت دعوته ما لبث نوح في قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا.

لكن المهم أن يكون الطريق صوابا، وليس المهم أنَّ تكون الطريق قصيرة؛ لأن مع الصواب رضا الله جل جلاله.

أسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أنْ يجعلنا من أتباع نبيه المصطفىٰ ﷺ ، ومن الذين يُحشرون تحت لوائه ومن الذين يردون حوضه فيسقون منه سقية ويشربون شربة لا يظمؤون بعدها أبدا، أسأل الله أن يجعلني من المنيبين إليه، الخاشعين الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، وعلىٰ ربهم يتوكلون، واسمعوا قول الله جل وعلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾[الشرح] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هٰذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقا وتوبوا إليه صدقا إنه هو الغفور الرّحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلّغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، وتركنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك.

هٰذا وإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوىٰ الله فإنّ بالتقوىٰ فخاركم، ورفعتكم عند لقائكم بربكم، فاتقوا الله حق التقوىٰ بتعظيمكم أمره وإجلالكم له في السر والعلن، فإن في ذلك الفوز العاجل والآجل فـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران].

هٰذا واعلموا رحمني الله وإياكم أن الله -جل جلاله- أمرنا جميعا بأمر جليل، بدأ فيه بنفسه، وثنّىٰ بملائكته، ومصلحتُه عائدة لنا، فقال جل وعلا قولا كريما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**من صلّىٰ عليَّ واحدة صلىٰ الله عليه بها عشرا**»(١)؛ يعني من قال: اللّٰهمَّ صلِّ علىٰ محمد وسلِّم تسليما كثيرا. مرة واحدة أثنىٰ الله عليه بها في الملإ الأعلىٰ عشر مرات.

اللّٰهمَّ صلّ وسلم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارْضَ اللّٰهمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنَّا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الرّاحمين.

اللّٰهمَّ أعزّ الإسلام وأهله، اللّٰهمَّ أعز الإسلام وأهله، وأذلّ الشرك وأهله، اللّٰهمَّ أعزّ الإسلام والمسلمين في كل مكان، اللّٰهمَّ أعزّ الإسلام والمسلمين وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حَوْزَة الدِّين، وانصر عبادك الموحدين، الذين يجاهدون لرفع راية توحيدك ونصرة سنة نبيك، فإنك أنت القوي العزيز، فَقَوِّهم وأعزَّهم علىٰ عدوك وعدوهم يا رب العالمين.

اللّٰهمَّ نسألك أمنا وأمانا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللّٰهمَّ وفقهم بتوفيقك، اللّٰهمَّ وفقهم بتوفيقك، ودلّهم علىٰ طرق الخيرات وغلّق عليهم ترك الشرور والمنكرات.

اللّٰهمَّ اجعل ولايتنا لمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أكرم الأكرمين.

اللّٰهمَّ نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا هٰذه بخاصة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامة يا أرحم الرّاحمين.

اللّٰهمَّ أنت الله لا إلٰه إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أرسل علينا الغيث، واجعل ما أنزلته لنا عونا

(١) مسلم، حديث رقم (٤٠٨).

عن طاعتك وبلاغا إلىٰ حين، اللّٰهمَّ اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا، واجعله سقيا رحمة لا سقيا عذاب، ولا غرقا يا أرحم الراحمين.

اللّٰهمَّ أحيي به البلاد وانفع به العباد، وأنت خزائنك لا تنفذ، خزائنك ملأىٰ، فأنزل علينا من رحمتك غيثا مغيثا، اللّٰهمَّ اجعله رحمة ولا تجعله غرقا ولا عذابا، واغفر لنا ذنوبنا، اللّٰهمَّ اغفر لنا ذنوبنا، فإنا نستغفرك إنك كنت غفّارا، فأرسل السماء علينا مدرارا يا أكرم الأكرمين.

اللّٰهمَّ أصلحنا جميعا، اللّٰهمَّ لا تمتنا إلا وقد وفّقتنا لتوبة نصوح.

عباد الرحمٰن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، فاذكروه دائما يذكركم، واشكروه علىٰ النعم يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾[العنكبوت:٤٥].